صفات الالهة:

ان انسان بلاد الرافدين وبعد جهد وتحليل وتفسير لكل ما يدور حوله من ظواهر طبيعية وبعد تمكنه من الوصول الى فكرة وجود قوى خفية تتحكم في مصيره وحياته، وتوصله الى الكيفية التي تولدت منها هذه القوى التي اطلق عليها الهة، اصبحت هذه الالهة مثالاً للحاكم البعيد والقوة المجهولة التي اثرت في حياته وراح يحتاجها في الاوقات العصيبة التي تواجهه، وهنا لابد من الاشارة الى ان تلك الالهة السامية والقديرة قد اتصفت بأربع صفات هي:

اولا: التشبيه:

لقد اخذت الالهة في العراق القديم صفاتها من منبعين اساسيين هما الطبيعة والانسان، وكانت فكرة التشبيه من الخصائص البارزة في ديانة العراق القديم، فقد افترض السومريون وجود مجموعة من الالهة قوامها كائنات حية شبيه في هيأتها بالإنسان ولكنها تفوق الانسان وخالدة وهي التي تسير الوجود وتسيطر عليه بموجب خطط ونواميس معينة مقرره وان كل من هذه الكائنات الشبيهة بالإنسان والمتميزة عنه بالقوة موكله بجزء خاص من الكون لتسيير شؤونه .

ثانياً – التفريد :

ظهرت صفة التفريد وهي تفضيل احد الآلهة في العبادة على غيره من الآلهة نتيجة محاولة البابليين والآشوريين فرض الهتهم الرئيسة على البلاد بكاملها رغبة منهم في خلق وحدة دينية مرافقة للوحدة السياسية الامر الذي خلق حالة عدم تقبل من جانب ابناء البلاد، ومع سيادة هذه الالهة المتمثلة بالاله مردوخ البابلي والاله آشور اله الآشوريين، ظل سكان البلاد محتفظين بعبادة الهتهم المحلية الامر الذي ولد ما عرف بفكرة التفريد أي عبادة اله واحد وجمع صفات جميع الالهة فيه الى جانب الهة اخرى ظلت تعبد لم يتمكنوا من تركها لما لها من اثر مهم في حياتهم اعتقدوا بها وربطوا حياتهم ومصيرهم بغضبها او رضاها، إذ ان الانسان العراقي القديم الذي

استمد فكرة الالهة من الطبيعة وبعد الهة الطبيعة عرف الهة المدينة، ومن ثم الهة القطر، وبعد ان كانت هناك الهة متعددة تمثلت بالأرض والهواء والنار وكذلك الحيوانات والاشجار والنباتات بدأ يفكر ويدرك ان الروح الحقيقية هي التي تمتلك قوة اكبر من الآخرين.

ومن بين الالهة التي برزت في مدينة بابل الاله مردوخ، إذ حاول البابليون مشاركته في العبادة واقتسام شهرته وعظمته بجعله اله عالمياً، ويصرح حمورابي في بداية قانونه الشهير ان الاله آنو العظيم ملك الانوناكي وانليل سيد السماء والارض الحاكم بمصائر البشر هما من نسل الاله مردوخ الابن البكر للإله انكي الوصي الرفيع، إذ نجد من خلال قراءتنا لقصة الخليقة البابلية كيف ان الكاتب البابلي اعطى للاله مردوخ مواصفات فاقت جميع الالهة ليميزه عنهم ويمكنه من ان يصبح سيداً لجميع الالهة بعد ان كان آنو هو السيد لهم .

أما الآشوريون فقد شبهو الاله آشور بالإله انليل، فصارت له نفس القاب هذا الاله وهي : الجبل الكبير، سيد البلدان، ابو الالهة، وبذلك ارتفعت مكانه الاله آشور فوق جميع الالهة، اما زوجته عند الآشوريين فهي عشتار آلهة مدينة آشور الخاصة، والاله ننورتا ابن الاله انليل عُدّ ابن للاله آشور، وكان آشور الاله المقرر للمصير والاله المقاتل واله الحكمة وفي الوقت الذي كان فيه الآشوريون يتغلبون على تدفق الآراميين ويتبعونهم لم يكن الاله آشور قد تحول من زعيم محلي الى زعيم مجموعة الالهة ،بل ان الملوك الآشوريين صار لزاماً عليهم ان يطبقوا مفهوم آشور كحاكم لامبراطورية عالمية إذ ارتقى آشور الى موقع رئيس مجمع الالهة الآشورية بالطريقة نفسها التي اصبح فيها الاله مردوخ سيد الالهة في بابل.

وبهذا نجد ان مكانة الاله من مكانة الدولة السياسية، إذ ان علو شأن الدولة سياسياً يجعل الاله يحظى بالتقديس ليس فقط في العالم الواقعي (أي الحياة) وانما ايضاً بين الالهة ذاتها، اذ ان تطور الفكر الديني للانسان العراقي القديم دفع به للوصول الى فكرة التفريد، فقد تدرج في اعتقاده

من الهتة المتنوعة التي كانت ذات أثر على حياته، ليصل الى الاعتماد على إله واحد فقط لا غير.

ثالثاً – الاستمرارية :-

ان الالهة التي عرفها الانسان في بلاد الرافدين ظلت ترافقه على مر العصور، اذ لم يطرأ عليها أي تغيير منذ الالف الثالث ق.م وحتى ظهور الاسلام، والتغييرات التي رافقت تلك المرحلة اقتصرت فقط على التغيير في مكانة الاله وعلاقته مع الالهة الاخرى واهميته تبعاً للتغيرات السياسية فنجد الى جانب آنو وانليل وانكي (الثالوث الاول) استمرت عبادة بقية الالهة، فمثلا ان عبادة الاله (آنو) لم تتوقف طول تاريخ الديانة البابلية حتى زمن السلوقيين (٣١١-١٢٦ق.م) ولاسيما في مدينة الوركاء في معبده المسمى (أي–ان– نا) ويعني بالسومرية معبد السماء، ومع ذلك بقي كل اله محتفظ بقدسيته عند السكان، إذ ان غالبية الالهة ذات اصول سومرية فخلطوها مع الالهة المقاربة لها، وقد نتج عن ذلك ان حافظوا على تسميات هذه الالهة السومرية، او انهم جعلوا الاسم ساميا مثل الاله (آن) السومري الذي اصبحت تسميته عندهم (آنو) .

بعد بيد كل من الاله مردوخ البابلي والاله آشور الآشوري، ربما من الطريف ان نركز هذه الفقرة الخاصة بالاستمرارية في عبادة الالهه على الالهه الخمسة الكوكبية عند العراقيين وهي الالهه ذات العلاقة ايضا بالعرافة والفأل والتنبؤ وقد وصلت درجة التقديس مرحلة علامات ودلالات نجمية خاصة بالالهة، اذ لم يكن لأي من الالهة ما يمثله او يدلل عليه ولكن عندما اصبحت بابل اعظم مدينة في بلاد الرافدين ارتفعت اهمية مردوخ معها وعند بناء قصة الخليقة (اينوما ايلش) اشار الى الالهة بنجومهم، واخذ المشتري لنفسه .